الإنسان والأديب

الكتابات الأدبية

بقلم

أ.د. هانئ محي الدين عطيه

أحلام العصافير

تمنيت كثيرا أن أعود طفلا. ألعب ملء جوارحي، أضحك ملء نواجذي، أحلم ملء خيالي، أنام ملء جفوني.

وتعود بي الأيام وأتذكر. كيف كنت ألعب حين أركض وراء فراشة صغيرة تحملها نسمة رقيقة على أوراق الشجر، أو أطارد عصفورا زغبا يبحث عن مأوى تحت رذاذ المطر، أو أداعب سمكة حبيسة في بركة ماء غمر، أو أشاكس هرة تلعب بخيط ملفوف على بكر.

وتعود بي الأيام وأتذكر. كيف كنت أضحك حين يحملني أبي ويقذفني في الهواء، أو أطير بالونا أسابقه إلى السماء، أو آكل كعكة صنعتها أمي لرحلة في الخلاء.

وتعود بي الأيام وأتذكر. كيف كنت أحلم وأنا أمسك قلما فأرسم بيتا أو قصرا، أو أرسم وردة أو شمسا، أو أرسم مركبا أو نهرا. أو أغرس نبتة أبيت أرويها فجرا، أو أرعى دجاجة قامت على أفراخها شهرا.

وتعود بي الأيام وأتذكر. كيف كنت أنام وأنا أجلس إلى جواري جدتي وهي تروي لي قصصا تنسجها من الخيال، أو تناولني الدواء إذا ما أصابني السعال، أو تضمني إلى صدرها الحنون فيغنيني عن السؤال.

أمنيات كلها أحلام، تحمل بداخلها قلبا، غضا، محبا، لا يحمل كرها لأحد.

ولكني اليوم أتمنى أن أعود طفلا، لكي أحمل حجرا، أو أقبض جمرا، أو أحفر قبرا، لمن سلبني كل هذه الأحلام، لمن قتل عصفوري وهرتي، لمن هدم بيتي، لمن قطف وردتي، لمن حجب شمسي وأغرق مركبي، لمن داس زرعي وافترس دجاجتي.

أتمنى أن أعود طفلا، لكي أقطع رأسا، أو أقتل ثأرا، من اغتال أبي، وأعدم أمي، وقتل جدتي.

أتمنى أن أعود طفلا، لكي أموت شهيدا فدا أرضي، وعرضي، وعقيدتي.

الإصبع السادسة

لم أولد بها، ولكني أصبحت أمتلكها، عرفتها كبيرة، تضمر مع الوقت، ثم تستبدل بغيرها فتعود من جديد. هي عقلة واحدة، وهي ليست بزائدة، بل أصيلة عاشت كذلك، وستظل دوما كذلك.

فهل عرفتموها؟!

هي هويتي، وبها أعرف نفسي ومهنتي، هي عنوان علمي وأمانتي، أضعها في جيبي فتخرج بيضاء من غير سوء، فأبث بها أفكاري وأخط بها كلماتي، ثم يبلى الجسد، فتذهب الحروف، وتبقى المعاني.

فهل عرفتموها؟!

هي صدقتي الجارية، وصاحبتي في الدنيا والآخرة، هي شاهدي وشهادتي حين يواري جسدي الثرى. ويسألني السائل عن عمري فيما أفنيته، وعن مالي مما اكتسبته، وعن علمي فيما أديته، وعن جسدي فيما أبليته.

فهل عرفتموها؟!

هي حقيقة وليست خيال، هي غزل بلا منوال، نقية بلا خصال، طليقة بلا عقال، إنها عنوان المقال.

إنها إصبعي السادسة، إصبع الطباشير

ما الحياة ؟!

كلماتٌ هي الحياه، مسطورةٌ فوق الجباه، بصمةٌ تجري في المياه، سرها أمرٌ خفاه. فما الحياه ؟!

الحياة أمانةٌ أودعها الإله، حقٌ لنا هو أعطاه، حرٌ كلٌ فيما يراه، يسعى به إلى مُقتضاه. فما الحياه ؟!

الحياة شهادةٌ تنطقها الشفاه، وقلبٌ يعقد على ما ارتضاه، وعقلٌ يسير على هداه، وعملٌ يُرفع عِقب صلاه. فما الحياه ؟!

الحياة زينةٌ وتفاخرٌ بجاه، وكثرة مالٍ وولدٍ عزاه، وصحة بدنٍ وعقلٌ أتاه، وكلٌ يسعى إلى مبتلاه. فما الحياه ؟!

الحياة متاعٌ وحبُ فتاه، وذهبٌ وفضة، وخيلٌ وحرث وأَنعم شاه، وكل يغني على ليلاه. فما الحياه.

الحياة لعبٌ ولهو تلاه، وشهوة بطنٍ وفرجٍ خَواه، غَرورٌ هي ليومِ قضاه، وكلٌ يجني ما زرعت يداه. فما الحياه ؟!

الحياة قِصاصٌ وعدلٌ علاه، فنفس بنفسٍ وجُرحٌ دواه، وعينٌ بعينٍ ومفسدٌ نَفاه، أو عفوٌ بحقٍ ودِية فِداه. فما الحياه ؟!

الحياة عملٌ بعد وفاه، بصدقةٍ تجري معها زكاه، وعلم ينفع دون سواه، وولد صالح يَرفع دعاه. فما الحياه ؟!

الحياة ذكرى وسيرة مهداه، لعبدٍ صالحٍ حَسُنت خُطاه، في أمرٍ بخير ومنكر نَهاه، فأنّت أرضه وبكته سَماه. فما الحياه ؟!

الحياة موتٌ في سبيل الله، خلودٌ هي من بعد نَجاه، ورزقٌ يُساق دون أناه، وصحبة حور . فما الحياه ؟!

الحياة جسد خالص فـُضلاه، وروح تحلق لسدرة منتهاه، ونفس تسعى إلى لقياه، وعين تتوق إلى رؤياه. فما أسمى تلك الحياه!

حقا هذه هي الحياه، حقا هذه هي الحياه، حقا هذه هي الحياه.